



ابحاث فنية

العمارة الاسلامية

العرب بالأمم التي خضعت لهم فنون متشابهة في جملتها ومتنوعة وفقاً لحالة كل بلد قامت فيه - وقد ازدهرت مدينة العرب وانتشرت حضارتهم بفتحهم البلاد في المشرق والمغرب وكانت العمارة أعظم مظاهر هذه الحضارة بما شيده الخلفاء من مدائن ومساجد وقصور وحدائق وقلاع وأسوار، وغير ذلك؛ ومن أبداع أمثلة الفن الاسلامي قصر « أشيلة »، وقصر « الحمراء »، وأعمدة « هرقل »، في الأندلس .

العمارة الاسلامية في مصر وسوريا:

كانت دمشق عاصمة بني أمية. وأهم آثارها قبة الصخرة في بيت المقدس وقد بناها عبد الملك بن مروان (٦٨٨ م) ثم الجامع الأموي بدمشق (٧٠٥ م) شيده الوليد بن عبد الملك وقد زانت الفسيفساء ذات الصنع الجليل داخل كل من هذين الأثرين؛ أما صناعة الاسلام في مصر فتبدأ من عهد الدولة الطولونية وقد تفوق المصريون زمن أحمد بن طولون في صناعة الجص كما يشهد بذلك جامع المشهور باسمه بالقاهرة .

وقد خلف الفاطميون بمصر كثيراً من المساجد وغيرها من التحف الفنية وقد كان عصرهم من عصور الاسلام الذهبية كما هو عصر للهناء بالعمارة الاسلامية ومن آثارهم الأزهر أقدم جامعة إسلامية عالمية .

العمارة الاسلامية في بلاد المغرب والأندلس:

قد لعبت الفنون الاسلامية دوراً خطيراً في تونس والجزائر وكذا بالأندلس التي حفظت أعظم تراث للفن الاسلامي بما له من سحر وخلود - ويعتبر جامع « القيروان »، وجامع « الزيتونة »، في تونس أشهر الآثار الباقية في بلاد المغرب وقد كان ولا يزال اسم غرناطة آخر المدن الاسلامية بأسبانيا « وقعت في يد إيزابيلا وفردناناند (١٤٩٢ م) » يقرن على الدهر باسم (قصر الحمراء) الذي يعد أسلوبه نهر العمارة الاسلامية، ذلك القصر الذي يلهم الأحلام وتحوم فيه أرواح فرسان الأندلس والذي لدقة صنعه وجمال وصدق تعبيره تثير مشاهده في النفس الشعر والخيال حتى أوحى للكتاب العظيم أمثال « واشنطن أرفنج »

بينما كانت دولة بني ساسان بفارس ودولة الروم الشرقية بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط قد هزمتا وتولاهما ضعف شديد وأخذتا تتقدمان بخطى متساوية كالأشباح نحو القبر، كانت دولة العرب الفتية تنهض وتبشر بدين جديد، وقد بدأ نجمها في الصعود وأخذت تنشر لواءها على الأمم والأمصار، فدانت لها الشعوب وتملكت واتسعت أطرافها في وقت قصير حتى بهرت العالم بحضارة عظيمة كانت رسالة « محمد »، باعثها ورافعة عليها .

وكان لحياة العرب في الصحراء والبادية ونشدهم للحب وتغنيتهم بأشعر والجمال أثر عامل في الفن الاسلامي . وكانت البساطة والجمال طابعاً لكافة أعمالهم التي تطلبت حياتهم الجديدة في الفن والسياسة، شأنهم في بداوتهم الأولى، وقد ظلت هاتان الصفتان لازمتين لهم في جميع الأدوار التي لعبوها أو مثلوها على مسرح الحياة .

وقد كان لنزول الوحي وانبثاق نور الاسلام أن ظهر هذا الفن الحديث فريداً في نوعه ومؤيداً بروح خاصة جعلته غريباً عن غيره من الطرز التاريخية، حتى إنه ليحقق القول أن هذا الطراز هو صنعة « الاسلام والدين الحنيف » .

وإذا قضينا هذا، وجدنا أن العوامل التي أثرت فيما بعد في العمارة الاسلامية كانت بالطبع غريبة عن بلاد العرب فإن معرفة العرب وحياتهم في البدو وعزلتهم عن الحياة دعاهم للتأثر بما جاورهم من البلدان، حتى نجد شدة تأثر عمارتهم الأولى بفارس وبيزنطة، فقد نشأ من اختلاط

« وجوتيه ، بأروع التأملات في الأدب الخالد كما كان مادة
لخيال غيرهم من المؤلفين الموسيقيين والشعراء والمصورين
حتى ملأ ذكره الآفاق ، وتمتاز « أشييلة » ، « وغرناطة » ،
أيضاً بالبساتين الغناء وجمال الخضرة والماء والمناظر
الطبيعية .

العمارة الإسلامية في فارس :

خضعت بلاد الفرس للمسلمين في زمن الخلفاء الراشدين
غير أنه لا توجد هناك آثار باقية للحكم الإسلامي حتى ولاية
العباسيين إلا بعض الخرائب والأطلال . . أما جامع
« أصفهان » العظيم فقد بقي من عهد « الصفويين » .
وقد غلب استعمال القيشاني تكسيه للحوائط بالعمارة
الفارسية ، سيما منها ذات الألوان الزاهية والذهبية .

العمارة الإسلامية في تركيا :

كان للعثمانيين وهم « ملالة من الأتراك السجلوقيين زحفت
على الأناضول فن متأثر بالفارسي ، فلما اجتازوا بوغاز
الدردنيل وفتحوا القسطنطينية واستولوا عليها من المسيحيين
وضعوا أساس عمارتهم على نحو العمارة البيزنطية التي كانت
أهم طرازها كثرة القباب على نمط سنت صوفي (أياصوفيا)
وقد أفلح تحويل كثير من الكنائس لعبادة المسلمين حتى
استغنى عن نظام الصحن المكشوف وإحاطته بالبواكي
على النحو المتبع في غيرها من البلدان الإسلامية وقد صارت
أيا صوفيا بعد أن صلحت جامعاً نموذجياً يقتدى به في بناء
الجوامع التركية وقد كثر استعمال القباب حتى حملت على
الأعمدة والعقود ، أما الجدران فكانت تنكس من الداخل
بالواح القيشاني - وأحسن ما شاهده العثمانيون من المساجد
بالقسطنطينية « جامع بايزيد » « وجامع السليمانية » حيث
استعمل في نوافذه اجص المحلى بالزجاج الملون .

العمارة الإسلامية في الهند :

ظهر الفن الإسلامي في شمال الهند باستيلاء المسلمين على
دلهي وقد دخلها عن سبيل فارس وهو عبارة عن عصرين
عظيمين .

(أولهما) عصر الباتان The Pathan Dynasty

كانت العمارة الإسلامية بالهند هي من نوع العمار التذكارية
Monumental وذلك بتقديم فن الإنشاء باستعمال الأحجار
الرملية والرخام وقد روعيت العظمة Scale في التصميمات
حتى غدت دلهي العاصمة بما حوته من وفرة الآثار الإسلامية
أثينا أوروبا أو القسطنطينية وتدابنها في الأهمية المعمارية .

(ثانيهما) العصر المغولي The Mogul Dynasty
لقد أصبح للفن الإسلامي في هذا العصر آياته وميزاته ولا
شك أن « تاج محل » الذي شيده الشاه جهان أثناء حكمه
هو أعظم وأشهر الآثار الإسلامية قاطبة حتى لقب « بالمع
جوهرة في تاج العمارة الهندية » وهو يمثل « بحر الشرق
وحلم القبور ومعجزة للفن الرخامي المرصع بالجواهر وهو
فوق بساطة تصميمه على النحو المتماثل وجماله أو حلو
زخرفته قد قام في وسع حافل بالمنائر وسط الحدائق الغناء
والأنهر والبحيرات تحيطه أشجار عالية باسقة تشعر بالوحشة
والعزلة والسكون وتفرض جواً يناسب النهاية للأضربة
والقبور :

هذه بعض طرائف الاسلام في عالم الآثار والفنون
التي حفلت بها المدن في الشرق والغرب تنطق بعظمة
الاسلام والمسلمين ؟

عبد القاهر محمد ناجي
المهندس المعماري

① الفرق الوحيد بين مريت الشيوخ وموت الشبان
أن الشيوخ يذهبون إلى الموت ، وأن الموت
يذهب إلى الشبان .

② العقلاء يتعلمون من المجانين أضعاف ما يتعلم
المجانين من العقلاء .

③ الذهب يمتحن بمحك المعدن ، والرجال يمتحنون
بالذهب .

④ العاوي يلوم غيره في كل خطأ يصيبه ، وطالب
الحكمة يلوم نفسه ، أما الحكيم الواصل فلا
يلوم نفسه ولا يلوم الآخرين .

⑤ القوانين كنسج العنكبوت تقع فيه صغار الطير
وتعصف به كبارها .